أنور الجندي

الإمام المراغي

اقرأ ١١٥
دار المعارف للطباعة والنشر بمصر

الإعلانات يتفق بشأنها مع
شركة إعلانات الشرق الأوسط
٣٣ شارع عبد الخالق ثروت تليفون ٤٧١١٧ القاهرة

96725

Kosova'lı **Ali Yakup Cenkçiler Hoca Efendi'nin**
(1913-1988)
M.Ü. İlahiyat Fakültesi Kütüphanesine
Vakfı

İstanbul-1988

اقرأ ١١٥ ــ أغسطس سنة ١٩٥٢

جميع الحقوق محفوظة
لدار المعارف بمصر

قد حدث شيء من هذا فإني على استعداد لإصلاحه . .
فقدم له الشيخ الكشف . . فوعد بالبحث ثم عاوده الشيخ
فقال له إن هذه الأملاك قد بنيت ، وأنه على استعداد
لإعطاء قطع خالية بالخرطوم بدلا منها فرضى الشيخ بذلك ،
عدا قطعة واحدة على النيل مساحتها خمسة أفدنة ، أقيم عليها
منزل ضخم لمدير الخرطوم الإنجليزى فقد رفض الشيخ
أن يستبدلها . . وصمم على أن يضع يده عليها ، فقال له
الحاكم العام . . تريد أن نطرد المدير . قال لا . . ولكنى
أؤجر المنزل له . . فقبل الحاكم أن تضم للوقف وتؤجر
للحكومة بإيجار سنوى بلغ ٢٥٠ جنيها ، وكتب قاضى القضاة
والحاكم العام عقداً تنازلت فيه الحكومة عن الأرض للوقف ،
وعين الشيخ ناظراً عليه . . وسجل كتاب الوقف بمحكمة
عموم السودان الشرعية وهو موجود بسجلاتها إلى الآن وهو
أول وقف فى السودان ، ثم رغب الشيخ فى استثمار الأرض
الخالية ، على أساس أن يقترض من البنك الأهلى
بالخرطوم ٤ آلاف جنيه فقبل البنك ورهن له الشيخ فى
مقابل هذا إيجار منزل المدير بدون فائدة واستولى على المبلغ
وبنى به بيوتاً فى الخرطوم ما تزال عامرة . . وأنفق إيرادها فى
إصلاح المسجد . . وقد زادت هذه الأوقاف بما تجمد

تصدير

يقول أبو بكر محمد بن الحسين « إن من أخلاق العلماء
أن يأمن شره من خالطه ، ويأمن خيره من صاحبه ،
لا يؤاخذ بالعثرات ، ولا يشيع الذنوب عن غيره ، ولا يقطع
بالبلاغات ، ولا يفشى سر من عاداه ، ولا ينتصر منه بغير
حق ، ويعفو ويصفح عنه . . ذليل للحق ، عزيز على
الباطل ، كاظم الغيظ عمن أذاه ، شديد البغض لمن عصى
الله ، يجيب السفيه بالصمت عنه ، والعالم بالقبول منه ،
لا مداهن ولا مشاحن ولا محتال ولا حسود . . ولا حقود
ولا سفيه ولا جاف ولا فظ ولا غليظ ولا طعان ولا لعان
ولا مغتاب ولا سباب . . يخالط من الإخوان من عاونه . .
على طاعة ربه ونهاه عما يكره مولاه ، ويخالق بالجميل من
يأمن شره إبقاء على دينه ، سليم القلب للعباد من الغل
والحسد ، يغلب على قلبه حسن الظن بالمؤمنين فى كل ما أمكن
فيه العذر ، ولا يحب زوال النعم عن أحد من العباد ، يداوى
جهل من عامله برفقه ، إذا تعجب من جهل غيره ، ذكر أن

جهله أكثر فيما بينه وبين ربه عز وجل ، لا يتوقع له بائقة ، ولا يخاف منه غائلة . . الناس منه فى راحة ، ونفسه منه فى جهد »

. . . هذه أخلاق العلماء كما يصورها الإمام أبو بكر ابن الحسين . . وهى صورة الخلق الذى كان يرضاه الإمام المراغى ، وفى هذه العبارات لمحة من شمائل هذا الرجل الذى نقدمه للشباب الجديد صورة صادقة للائمة المصلحين ، والعلماء العاملين ، والمجتهدين المجددين . .

يقدم هذه الصورة السريعة كاتب من غير بيئة الأزهريين ، تأكيداً لأثر الرجل فى ميادين الثقافة والفكر والأدب بالإضافة إلى فضله فى ميدان الأزهر والدين .

إنه من الجائز أن يكتب عن الإمام المراغى ، أتباعه وتلاميذه ومريدوه ، والذين اتصلوا به فى بيئته الأصلية وعاشروه ، أما إذا تصدى لذلك كاتب من غير هذه البيئة فذلك دليل على مكانة الرجل الذاتية التى فرضت نفسها على المفكرين والباحثين .

لقد أوليت فن « التاريخ » عنايتى منذ سنوات ، وشغفت بدراسة الأبطال والعظماء وتراجم أفذاذ الرجال ، وأوغلت فى البحث وراء منابع العبقرية فى طائفة كبرى من زعماء الإصلاح والوطنية والحرب فى العصر الجديد والقديم وفى

بالمسجد . . وبحث أمره طويلا ، فعلم أن لهذا المسجد أوقافاً سابقة ، غير أن إعادة تخطيط المدينة بعد حوادث المهدية ، وتنظيمها على الوضع القائم وهو ما قام به اللورد كتشنر بالاشتراك مع اليوزباشى المصرى محمد السعيد سماحة . . ضيع معالم وقف المسجد . .

وكان كتشنر قد أعلن ، أنه على استعداد لأن يرد لمن فقد منه منزله أو أرضه ، مساحة مماثلة فى أى مكان . .

وطلب الشيخ إلى المهندس الضابط : السعيد سماحة — وكان أهل دين واستقامة أن يبحث فى السجلات القديمة عما لهذا المسجد من أوقاف ، فقام الرجل بمهمته على أكمل وجه . . وقدم للشيخ كشفاً يشتمل على ما للمسجد من أوقاف فى مدينة الخرطوم ، مبيناً مواقعها . .

وأخذ الشيخ الكشف وذهب به إلى السير ونجت الحاكم العام للسودان .

وحدثه فى الأمر ، وكان مما قال له إن الإنجليز قد خالفوا هذه المرة تقاليدهم فى احترام الشعائر الدينية والمحافظة على بيوت الله ، فقد وضعوا أيديهم على أوقاف مسجد الخرطوم بدون بدل ولا ثمن .

وهنا بهت الحاكم العام وأنكر التهمة . . وقال إن كان

الشرق والغرب فكان ممن استهوانى فى التاريخ المعاصر القريب رجال من بينهم هذا الإمام العظيم .

وحق للمراغى أن يكتب عنه من تعلم فى غير بيئة الأزهر، فقد امتد أثر الرجل وفضله إلى أكثر من ميدان ، وكان له أثره الواضح فى محيط الثقافة وتطور الفكر الحديث .

وكان الإمام رضى الله عنه بعيد الأثر فى كل عمل أدبى جديد ، فطوق أعناق كل من أخذ من الثقافة العربية الجديدة بسبب .

وإننا لا نمن على ذكرى الإمام الجليل بهذا العمل بل نعتبره أقل ما يجب فى حق رجل هز المشرقين ونقل الأزهر من وضع إلى وضع .

ونحن لا ندعى أننا بهذا السفر الصغير المتواضع ، نقدم « تاريخاً » للإمام المراغى ، أو نضع سيرته موضع البحث العلمى الذى هى جديرة به ، فذاك عمل ضخم لا نزعم أننا نستطيع القيام به الآن ، وهو جدير بأن تعبأ له جهود عدد كبير من الكتاب والعلماء والباحثين ، وأن يكتب فى أناة وأن تضم إليه الكثير من الوثائق والرسائل والأبحاث التى كتبها عميد الأزهر خلال حياته الطويلة الحافلة ، والتى تضمها مكتبته العامرة فى حلوان . .

الأمر بصورة أخرى فى قضية أخرى . . فإذا رأى الشيخ أن الخطأ فى الحكم كان كبيراً وأنه مدعاة إلى ظلم المحكوم عليه ، الغاه وطلب إعادة النظر فيه .

ونجحت هذه الطريقة فى ترقية أذهان قضاة السودان ، وتوجيههم . . وفى نفس الوقت كان الشيخ يشرف على القسم الشرعى من كلية غردون ، وبذلك أمكن تخريج طائفة جديدة من القضاة الذين حصلوا على قدر لا بأس به من العلم ، بعد أن ذود فضيلته الكلية بعلماء مصريين من دار العلوم وغيرها ومن لطيف ما حدث أن أحد القضاة كتب على ملاحظة لم ير لها جواباً . . « وقف حمار الشيخ فى العقبة » .

* * *

ومما حدثنى به الأستاذ عبد الحميد أيضاً مسألة الوقف فى السودان ، وهى قصة جديرة بالتسجيل ، ولها مكانها فى تاريخ الإمام المراغى . . ، فقد كان الرجل دائب العمل ، فى سبيل الدين والناس . . لا يدع وسيلة شريفة إلا انتهجها ، للوصول إلى الحق . .

قال : كان فى مدينة الخرطوم مسجد واحد ، قامت بإنشائه وزارة الأوقاف المصرية ، ولم يكن — عند عودة الشيخ إلى الخرطوم قد تم . . وقد اهتم الأستاذ المراغى